ملخص المداخلة :إشكالية الهوية في تاريخ الجزائر المعاصر.

د/ روابحي العياشي

لم تنصف مجلدات تاريخ الجزائر المعاصر ومصنفاته موضوع الهوية ،لكنه حاز رغم ذلك شذرات كافية مبسوطة في ثنايا الكتابات التاريخية و سائر الدراسات الإنسانية و الاجتماعية الأخرى التي طرقت تاريخ الجزائر خلال تلك الفترة.

و قد حاولت في هذه الورقة تسليط الضوء على هذا الموضوع من خلال البحث في أهم الأفكار التي تثيرها مسألة الهوية خلال هذه الفترة ،و حددتها فيمايلي:

-أولا :محاولة تحديد مفهوم الهوية الوطنية و الإشكاليات المرتبطة بها خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

حاولت في هذا المبحث تحديد مفهوم هذه الهوية ،وذلك بالتركيز على غموضه لدى النخب الجزائرية و زعماء الرأي فيها حينئذ،اذ لم يكن هذا المفهوم مرتبطا بالأرض،والانتماء إلى مجال جغرافي محددا و واضحا وضوحا نافيا للجهالة مثلما هو معروف في الوقت الحالي ،وليس أدل على ذلك من أن نخب الجزائر الفاعلين في القرن التاسع عشر الميلادي لم يكونوا يتحرجون من دعوة الجزائريين إلى الهجرة إلى البلاد الإسلامية بحكم أن الجزائر كانت قد تحولت في ذلك الوقت إلى دار حرب أو دار كفر مما يستوجب الهجرة منها و مبارحتها و التوجه إلى دار السلم أو دار الإسلام التي تمثلها بلاد المشرق والمغرب العربيين ،وفقا للتمثلات الدينية السائدة حينئذ.

و على هذا الأساس دعى كل من الأمير عبد القادر و بعض مشايخ الطرق الصوفية أهل الجزائر إلى الهجرة إلى المشرق العربي واستنبول ،للهروب بدينهم و من أجل الحفاظ على مقوماتهم الحضارية بعيدا عن عسف المستعمر الفرنسي و جبروته ،ولم يكونوا يفكرون في ربط الجزائريين بمجالهم الجغرافي المعروف.

-ثانيا :اشكالية الهوية في الجزائر من خلال برامج الحركة الوطنية الجزائرية

رغم غياب مصطلح الهوية في برامج الحركة الوطنية الجزائرية ،الا أن مختلف الاتجاهات السياسية كانت قد تناولته بمسميات مختلفة.ففي الوقت الذي كان فيه زعماء الاتجاه الاستقلالي يلحون في مختلف خطاباتهم و عرائضهم المطلبية على ضرورة محافظة الشعب الجزائري على عناصر هويته و استقلاله عن فرنسا ،و المحافظة على الخصوصيات الثقافية للشعب الجزائري ،فان دعاة الاندماج كانوا

على نقيض من ذلك تماما حيث فرطوا في بعض العناصر المتعلقة بالهوية الوطنية ،بل أكثر من ذلك أن زعيمهم فرحات عباس أنكر نهائيا الوجود الجزائري و راح يسأل الاحياء و الأموات عن شيء إسمه الجزائر فلم يعثر عليه!

أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد ركزت صراحة عروبة الجزائر ،وانتماؤها الإسلامي من خلال شعار :الجزائر وطننا ،العربية لغتنا ،و الإسلام ديننا.

أما الاتجاه الشيوعي فلم يأخذ بمأخذ الجد مسألة الهوية الوطنية في خطاباته و برامجه بسبب ارتباطه مع الحزب الشيوعي الفرنسي و الأممية الاشتراكية ،وكذلك بسبب عدم تجذره في أعماق المجتمع الجزائري.

-ثالثا :الهوية الوطنية في مواثيق الثورة التحريرية الكبرى.

أشار بيان أول نوفمبر 1954الى ذلك من خلال تضمنه عبارات تدل على ذلك ،حيث اعتبر أن الثورة الجزائرية جاءت كحتمية بهدف تحقيق استقلال الجزائر حتى يعيش الشعب الجزائري في كنف الحرية في إطار مبادئ العروبة والإسلام.

كما أشار ميثاق الصومام 1956كذلك إلى هذا الموضوع لكن بإشارات قليلة، اما ميثاق طرابلس 1962فقد خص موضوع الهوية الوطنية في مواضع مختلفة من فقراته.

والخلاصة أن إشكالية الهوية الوطنية في تاريخ الجزائر المعاصر كانت حاضرة في مختلف الخطابات والبرنامج السياسية لكل الفعاليات السياسية والثقافية الجزائرية خلال ليل الاستعمار الطويل و خلال الثورة التحريرية الكبرى التي اندلعت في وجه المستعمر الفرنسي و حققت الاستقلال التام للجزائر سنة .1962